وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة المستقبل/ كلية العلوم الإدارية
قسم إدارة الأعمال/ المرحلة الثانية
اللغة العربية/ المحاضرة الثانية
م.م أحمد محمد الدليميّ

الشعر الجاهلي وخصائصه

تمهيد:

الشعر الجاهلي هو شعر العرب قبل ظهور الإسلام بما يزيد على مئة وخمسين عامًا، وقد عُدَّ سجلًا صادقًا لحياة العرب قبل الإسلام وتاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم. لذلك اعتمد علماء اللغة على الشعر الجاهلي مرجعًا أساسيًا للغة العربية وقواعدها النحوية؛ لما يتميز به من فصاحة وقوة في الأسلوب.

ومن أبرز شعراء العصر الجاهلي: (امرؤ القيس، زهير بن أبي سُلمى، طرفة بن العبد، عنترة بن شداد العبسي،عمرو بن كلثوم).

وكانت البادية هي البيئة الطبيعية للشعر الجاهلي، لذلك كان الشعر مرآة صادقة للحياة البدوية بما فيها من خيام وإبل وترحال وحروب وفروسية، ولم يعترف علماء الشعر من المسلمين بتقدّم الشعر الحضري على شعر البادية، وإن وجد شعراء قصدوا الحواضر كالأعشى والنابغة وامتدحوا ملوك فارس والعراق والشام.

ومن هنا فإن خصائص الشعر الجاهلي **تدور في معظمها حول مظاهر الحياة البدوية**، ولا يظهر فيه من ألوان الحضارة إلا القليل.

أولًا: الخصائص المعنوية:

أ- الصدق:

يمتاز الشعر الجاهلي بالصدق؛ أي أن يعبر الشاعر عما يشعر به حقيقة مما يختلج في نفسه، دون تكلف أو تصنّع، بصرف النظر عمّا إذا كانت الحوادث التي يذكرها قد وقعت فعلًا أم كان فيها شيء من المبالغة.

فالأبيات التي تصف (دار جلجل) في معلقة امرئ القيس تعبّر تعبيرًا صادقًا عن نفس الشاعر في لهوه، وإن كانت الحادثة قد تكون مبالغًا فيها، وكذلك يصدق هذا على الفخر والوصف والهجاء والحكمة.

فليس من الضروري مثلًا أن يكون قول عمرو بن كلثوم:

ملأنا البرَّ حتى ضاق عنا وماءُ البحر نملؤه سفينًا

صحيحًا من الناحية الواقعية، ولكن المهم أنه عبّر بصدق عن شعوره.

ب- النزعة الوجدانية:

الشعر الجاهلي وجداني في الدرجة الأولى، يصف نفس قائله وشعوره، حتى إذا تناول الشاعر موضوعًا واقعيًا كالحرب أو الصيد أو الحكمة أو الرثاء، صبغه بصبغته الوجدانية، فتحوّل الموضوع الواقعي إلى تجربة شعورية، قال زهير بن أبي سلمى:

فلا تكتمَنَّ الله ما في نفوسكم لِيَخفى ومهما يُكتمِ اللهُ يعلمِ

وما الحربُ إلا ما علمتم وذقتمُ وما هو عنها بالحديث المرجمِ

وكان الشعر الجاهلي يُنشد إلقاءً على لحن الربابة، ولذلك سُمّي شعرًا غنائيًا، ولا نزال نقول: "أنشد الشعر" أي ألقاه.

ت- البساطة:

اتسمت الحياة الجاهلية بالفطرية والبدوية، مما جعل الشخصية الإنسانية بسيطة غير معقدة، وانعكس ذلك في الشعر، فقد جرى الشاعر الجاهلي على سجيته وطبيعته، فلم يتكلف التعليل أو التعقيد، ولم يسعَ إلى الإحاطة والشمول، بل عبّر عما شعر به مباشرة، وإذا ظهرت المبالغة أحيانًا، فإنها نتيجة طبيعية لحياة الفروسية والزهو الفردي.

قال عنترة:

إذ يتقون بي الأسِنَّةِ لَم أُخِمْ عنها ولكنّي تَضايقَ مُقدَمي

ث- القول الجامع:

من خصائص الشعر الجاهلي ميله إلى استجماع المعاني في البيت الواحد، حتى كان البيت يجمع معنىً تامًا مستقلًا، ومن ذلك قول امرئ القيس:

قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ

قالوا: وقف، واستوقف، وبكى، واستبكى، وذكر الحبيب والمنزل في بيت واحد.

ج- الإطالة والاستطراد:

كان يُمدح الشاعر الجاهلي بطول النفس، أي بإطالة القصائد، وقد يستطرد الشاعر من موضوع إلى آخر ثم يعود، وربما لم يعد، وقد وصلت إلينا مقطعات كثيرة، ولكن الغالب أن أصلها كان قصائد طويلة ضاع بعضها.

ح- الخيال:

اتساع أفق الصحراء أسهم في اتساع خيال الشاعر الجاهلي، غير أن خياله ظل فطريًا بسيطًا كبيئته، أما الشعراء الذين اتصلوا بالحضر كالأعشى وامرئ القيس والنابغة، فقد اتسع خيالهم.

ثانيًا: الخصائص اللفظية:

أ- غرابة الألفاظ:

إذا قرأنا الشعر الجاهلي اليوم وجدنا فيه ألفاظًا غريبة غير مألوفة، لكنها كانت فصيحة مألوفة في عصرها؛ لأنها مرتبطة بحياة البادية من إبل وخيام وأدوات، وكان الشاعر حريصًا على استعمال اللفظة الجزلة، أي القوية المناسبة للمعنى، التي تؤدي المقصود دون زيادة أو ضعف.

ب- متانة التركيب وبلاغة الأداء:

التركيب في الشعر الجاهلي متين، يجري على قواعد اللغة، خالٍ من الضعف أو اللحن، ولا يقوم على تكلف التقديم والتأخير بغير مقتضى، وتراكيبه بليغة، تعتمد على التشبيه والاستعارة والكناية، وتخلو من العُجمة.

ت- العناية والتنقيح:

كان الشاعر الجاهلي في الغالب يقول شعره على سجيته دون تنقيح طويل، غير أن بعض الشعراء كانوا يعتنون بشعرهم عناية خاصة، فيراجعونه وينقحونه، ومنهم النابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى والحطيئة.

وقد اشتهر زهير بقصائده **الحوليات**، أي التي كان يقضي عامًا كاملًا في نظمها وتنقيحها وعرضها على النقاد.

وقد علّل الجاحظ ذلك بقوله إن الشاعر كان يردد النظر في قصيدته طويلًا، ويقلب رأيه فيها، حتى يخرجها في أحسن صورة، وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلدات والمُنقحات.

من خلال ما تقدم من ذكر للخصائص المعنوية واللفظية التي تميز بها الشعر الجاهلي، يتضح أنه كان يجمع بين الصدق والوجدانية والبساطة وقوة اللفظ ومتانة التركيب، وهو يمثل سجلًا حيًا للحياة العربية في الجاهلية.

****

(أسئلة تقويمية)

س/ هل كان الشعر الجاهلي صادقًا في تصويره للواقع؟

- جاء الشعر الجاهلي شعرًا صادقًا غير متكلّف في أغلبه، إذ كان الشاعر يعبّر عمّا يراه ويعيشه بصدق وعفوية، لذلك عُدَّ الشعر الجاهلي وثيقة تاريخية صوّرت الحياة الجاهلية بتفاصيلها الاجتماعية والقبلية والنفسية تصويرًا حيًّا.

س/ هل لطبيعة حياة شعراء العصر الجاهلي أثر في أشعارهم؟

- نعم، كان لطبيعة حياتهم أثر واضح؛ فالبيئة الصحراوية بما فيها من تنقل وعدم استقرار، وقلق وصراع، انعكست في شعرهم قوةً وصلابةً واندفاعًا، وكثيرًا ما تنوّعت موضوعات القصيدة الواحدة، فانتقلت من الوقوف على الأطلال إلى الغزل فالرحلة فالمدح أو الفخر.

س/ بماذا اتسم أكثر وصف شعراء العصر الجاهلي؟

- غلبت الروح القصصية على وصفهم، سواء في (وصف الرحلة، أو الحيوان، أوغيره)، وكان السرد الوصفي حيًّا ومليئًا بالحركة.

س/ كيف تميّز الإيقاع في الشعر الجاهلي؟

- اتسم الإيقاع بما يأتي:
  - تماسك موسيقي واضح.
  - نغمة واحدة منتظمة في القصيدة.
  - تنوع الأوزان تبعًا لاختلاف البحور.

س/ هل كان الشاعر الجاهلي واسع الخيال؟

- لم يكن الخيال عميقًا أو متوغّلًا في الذات الإنسانية، بل كان في الغالب خيالًا حسيًّا يعتمد على المشاهد الملموسة، مما جعل عالمه الشعري قريبًا من الواقع المحسوس.

****